تمثال أمّي

[« أخذت انحت لها « تمثالها » .. و « إزميلي » بعض كلمات يهمس بها قلبي الى قلمي !.. و « حجري » طيف عزيز كامن بين حناياي .. يتجاوب مع نفسي : عليه مسحة من ضباب السنين !.. وقناع من صور الذكريات القليلة الباقية !..و « اصباغي » بعض ومضات من ذهني ألتقطها من ارتعاشات كياني .. وأحمّلها بياض القرطاس !..

... خيّل إليّ إني انحتُ تمثال امي الحبيبة فحسب .. ولكني افقت بعد الانتهاء من عملي..على تمثالها.. وتمثالي .. وتمثال كل ابن ارتشف لباب كيانه من ثديي الأمومة الرؤوم !..

فالى كل « ام » وإلى كل « طفل » أهدي هذا التمثال المشترك الجميل!.. »]

« ط. ش. »

لا . لم تمت أمي !..
ولم يمشوا بها ..
نحو المقابر .. في العشيةِ ،
والجموع .. في خطوها المنهوك ..
تمشي في جحوظ ..
تتلو ...
ترددّ في ضراعتها ،
إلى حاوي البشرْ !..
تستنجد «الرحمن» تهوين المصابْ ..
عن « بنتها » . عن « زوجها » ..
عن « أهلها » .. صرعى الألم !..
و « وحيدها » الغرِ الصغير ..
يجري !..
يسائل : ما القدر ؟!..
ما الموتُ ؟!.
ما النعشُ المغشىّ بالسوادْ ؟!.
ويعودُ ..
يسأل « عمهُ » سر المنونْ !.
فيقول : أمك سافرتْ !..
وغداً تعود !!.
ويعانق الطفل اليتيمْ ..
وتدرّ عيناه الدموع ..

***

أمّي الحبيبة يا أخيْ !..
« هي » ها هنا ..
في قلبيَ العاني الولوعْ !..
بين الضلوعْ ..
تحيا « كتمثال » جميل ..
تمثالها ،
« لحمٌ ودمُ » !..
أغذوهُ أسبابَ البقاءْ !..
دُنيا النعمْ !..
معنى الحياة !..
نبع الخلودْ !..
في قلبيَ العاني الودودْ ..
هيَ ثمّ ..
ذي — في شعرها الذهبي —
اشراق الظلال !..
كنز فريدْ !..
كنز تضوّعه العطور ..
بُردي الدّفيء !..
بردي توشّعهُ الزهور !.
وتخذتُ منه ليَ الوسادْ !..
عند الرقادْ ..
وتخذت منه لي الغطاءْ !:
وغطائيَ الرطبَ الوثير ..
نعمَ المهادْ !
ما بين أفوافِ الحرير ..

***

وتطلّ من ألفافِ هاتيك الخيام !..
بوجهها السّمح الضحوك !..
بجبينها الوضاح ،
كالبدرِ التام !..
ينبوع « عقلٍ » طافح ..
ذاك الجبين !.
أنا قد لثمتُ به الحجى ..
والحزمَ والعزمَ الرصينْ !..
ولمستُ فيه ذرى العفاف ..
والصدقَ والعفوَ الكريم !..

***

لا . لم تمتْ !..
ها ناظراها..
صور الي عالم الارض الذي أرتادهُ !.
ضيفاً .. وأرحل في غدي !..
.. رَبض السّهاد ..
في « دَعجِ » عينيكِ السّهاد !..
عمقٌ كسيرْ !..
وأنا بحضنك:
شمتُ آمادَ السنين !..
لا . لم تفتُني دمعة .. وأنا بحجرك
نعبر الليلَ المديدْ ..
فلقد عرفت من الدموع :
ان الحياة..
فيها جراحْ ..
فيها ألم !..
فالدمعُ لا ينهلّ إلا من قروح !.
ومن القروح .. اوجاعنا ..

تلك التي لا يستبين لها علاج !.
ونذوق منها جرعة الصّاب الاجاج !
ولقد عرفتُ من السهاد..
معنى الصراع ..
والحيرة الكبرى ..
وإظلام الطريق !..
والجوعَ .. والعريَ المَهين !.
وتشعبَ الدّرب القفير ..
لا . لم تغرّيني بأحلام المحال !..
لا ! لم تضليني ..
بأوهام كذَابْ !..
« فلمقلتيك » هوى صدوق
أزجيته « للطفل » ،
كي يلقى « الحوادث » في ثبات !.
أمْدَدْته بالنور !.
كي يسعى به بين الربوع !.
بالنور .. « بالايمان » ..
ما يغذو به القلب الصديع !..
طول المسير ..
فلا تزيفُه اراجيف الجموع !.

***

لا ! لم تمتْ !.. هذا يقينْ !!
... من ثغرها العفّ الحزينْ !
كم ذا سمعتُ قصائدي ..
تتلىَ .. تُرَنمُ ..
قبل ان أهوى النشيدْ !.
شعري .. غذّتنيه الامومةُ ..
في الطفولة .. يا صحابْ !..
صاغته « ديوانا » حفِياً بالاغاني..
والكفاحْ !.
فيه ارتسماتُ المشاعر كلها :
حبي الذي احيا له ..
حبي الكبير ..
للنّاس .. للأكوان .. للأطياف
« للدّود » الحقيرْ !.
حبيّ الذي وسعَ الدنى !.
او فاقها !.
عبر الوجودْ .. متفانياً :
في الله .. في الأحياء ..
فيمن لفهمْ ثوبُ الهمودْ !.
فيه الأمل ..
أملي .. وايماني بهاتيك القيم ..
الحق والخير العميم ..
قيم السعادة .. والجمال ..
ورفيف أعلام السلام ..
في أرضنا !..
« دار المخافةِ والصراع » ..
في عصرنا !..
« عصر الجنون » !.
« ديوانها » .. أنغامُ أمي ..
رَائدي .. في «ثورتي» الجلّى ،
على هذا الجمود ..
جمودنا .. نحن الذين نعيش للذل المقيم !
نحن العبيدْ !.
نحني لغاصبنا الجباهْ !.
و « شبابُنا » ..
هذا الذي يحيا على الزيف المقيتْ !.
ويسير للهدف الحطيط !.
ويغوص في فوضى الحياةْ ! .

***

لا . لم تمتْ أمي !..
وهذا صدرها الحاني الأمينْ .
غُذّيتُ من ألبانهِ «كل الوجود» !.
فحَليبُها..
إنتاج أمشاجٍ لها امتزجتْ ،
بأمشاجي الودودْ !.
هي ذي تجودْ ..
بكيانها، تغذو كياني !. يا أخيْ..
« جلّ الفداءْ ! »
أترى « تموتُ » الامُ ..
كي تهبَ الحياة ؟!
« رَمز الفِداء !.»
لا !. لم تمتْ !.
لكنها أضفت على أيامها ..
عمري أنا !.
إني هنا امي !.
أنا أمّي !!

***

امي وأمك يا شقيق ..
أختان !..
أنتجتا الحياةْ .. فينا ..
لنحيا رغم هاتيك السدودْ !..
لنرُودَ آفاقَ السماءْ !.
إن النساءَ ..
زَرعن آياتِ الصّمود ..
ودِماؤهنّ لنا الوَقودْ !..
والحبّ ، والايمان..
والنورَ الوليدْ ..
لِنبددَ الغلسَ البليدْ !..
ونعيش في صبح جديدْ..
صبح مديد ..

***

تلك الامومة ها هنا:
تمثال أمي ، أو أنا ..
او انت سيّان !.
سيّان « للجيل » الذي « نبنيه »..
« للجيل السعيدْ » !

الطيب الشريف

القيروان - تونس الخضراء